

الثعلب سيكو

نوفل سنوسي



التعب سيكو

نوفل سنوسي

الفصل الأول : خروج للحياة

مرحبا أنا " سيكو الثعلب " ، هذه أول مرة تراني فيها أليس كذلك ، أعلم ، فأنا لست من النوع الذي يظهر كثيرا يمكنك أن تقول عني انطوائيا بعض الشيء ، و لكن لا تحكم على شيء و أنت لا تعرف خلفياته و ماضيه .

لا تستغرب لأنني ثعلب أستطيع الكلام ، فهذا سبب كتابتي لهذه الأسطر لك يا عزيزي ، الإختلاف بين الناس أمر طبيعي و نعمة في حقيقة أمره ، لكن ليس الجميع متقبلا لهذا ، بدلا أن تتعم بالسلام باختلافك ، لكن الأمور لا تمر دائما مرور الكرام على أبواب المميزين عن غيرهم .

الآن عمري وصل العشرين ربيعا في هذه الحياة ، أطول من باقي أعمار الثعالب الأخرى ، لا تستغرب فقد قلت لك إنني مختلف عنهم منذ البداية ، عشرون عاما ليست بشيء مميز بالنسبة لي ، حياة بسيطة مليئة بالمعاناة و الانتهازية و الفشل و البدئ من جديد ، سنوات مختلفة عن باقي الثعالب في سني و جنسي ككل ، ولدت أنا الوحيد لدى والداي لكن شاء القدر أن ينضاف لنا ثلاثة إخوة آخرين ، لا حاجة لذكر أسمائهم فليسوا ذوي دور كبير في أحداث قصتنا .

الفصل الثاني : بداية معاناة

بدأت حياتي كأى ثعلب صغير عادى ، لكن لا أحد يعلم ما سىصدر منه فى المستقبل القرب ، مرت أيامى عادىة جدا لعب و مرح أكل و نوم ، كل يوم يشبه الآخر ، لا جديء أو شىء مميز عن البقىة .

مرت سنتان عن ولادتى ، كل من فى سنى بدأ يصدر منهم الضباح إلا انا الوحىء الذى لم يستطع فعل ذلك ، لن أستطىع أن أصف حزنى حىنها بأى كلمة ، فالكلمات لن تستطىع أن توصل لكم شعورى آنذاك .

اتعرفون إحساس أن تكون انت كبرى اخوتك لكنك اقل منهم مكانة لىء والىديك ، لىس ذنبى ولكن الأمر خارج نطاق سىطرتى ، لست من اختار هذا لكن لا علىكم .

الفصل الثالث : تجربة فاشلة

حان موعد خروجي الأول من جحر العائلة ، و للأسف كنت أنا اخر من يخرج منه ، لم يكن اختياري أنا ، بل اختيار والداي فقد خافا من ما سيقوله الناس ، هذان أبوا الثعلب الأبكم ، الثعلب الذي لم يستطع أن يصدر صوتا كأقرانه ، ككل فصيلته .

قد تقولون لماذا لم تجرب قد تنجح في اصدار صوت ، حاولت لكن كلام والداي كان قاسيا جدا تجاهي عكس إخوتي الآخرين ، كنت شبه منبوذ عن البقية فقط لأنني لم أفعل ما لم يفعله أحد غيرهم .

كان أول خروج لي من باب جحرنا خروجاً متردداً ، نظرات الثعالب الأخرى التي ترمقني بنظرة مخيفة و كأنه وحشا برز أمامهم و ليس ثعلبا مثلهم ، لأن اخباري قد تسربت إلى باقي الثعالب ، هذا سبب نظرتهم تلك ، وجهت لي نظرات شفقة و اشمئزاز و احتقار ، رغم أنني لم افعل شيئاً به عيب فلست أنا من اختار هذا كله .

اقتربت من أحد الثعالب في سني كي أشاركه اللعب ، لأنني لم يسبق لي أن لعبت مع أحد يوماً و لو إخوتي ، لكن الصدمة كانت عندما أبعدت الأم الفتى عني كي لا يلعب معي و رمقتني بنظرة اشمئزاز و تعالي حزنت جدا حينها و ابتعدت عن الكل ، متجولاً بجوار الجحر كي أستأنس المكان و احفظه جيداً .

عدت إلى الجحر قبل الغروب لتفادي ضياعي غي الغابة و انا لم
اتعلم بعد طرقاتها و جنباتها ، لم يمر وقت طويل حتى عاد البقية ،
غير أيهين لأمري ، كأني لست موجودا من الأساس ، و نمت على
جنبات حزني و انكساري .

عشت الفشل و التمييز ، الظلم و الإهانة ، العبث و الحزن ، ولكن
حدث ما لم يكن في الحساب ...

الفصل الرابع : صدمة

و لأول مرة في حياة " سيكو " أنا طبعاً ، سيحدث ما لم يكن يتوقعه
لا هو ولا غيره ، اخرجت صوتاً و لأول مرة استطعت التحدث .

كان أول ما خرج من شفاتي هو كلام بشري ، نعم كما سمعت كلام
بشري وليس ضباحاً كباقي الثعالب ، اعرف كما العادة استغربتم
من أين لي بمعرفة البشر ، سأجيبكم لقد سمعت عنهم من والداي ،
من كثرة صدمتي أغمي علي ، إلى أن استيقظت فجأة في مكان
نومي ، لأجد كل العائلة ملتفة حولي .

لم يفهم أحد ما حدث ، فقط يحدقون بي لم أرد ان افشي سري لهم
يكفيني ما حدث لي عند معرفتهم إنني لا استطيع إخراج اي صوت ،
فما عساك ان عرفوا أنني اتكلم لغة البشر .

ظل الجميع ينظر إلي بنظرة استغراب ، غير دارين ما حدث او
سيحدث لاحقاً ، انصرف كل الى مكانه لينامو استعداداً ليوم جديد .
بقيت ليلة كاملة افكر في ما حدث و آلاف السيناريوهات تتداخل في
مخيلتي لما سيحدث لو علم والداي بما حدث ناهيك عن باقي بني
جنسي .

لم تكن سوى ثواني و تسلسل النوم لعيناي ، اغمضت عيناي
مستسلماً للنوم ، لا راحة في يقظتي و نومي أيضاً ، تداخل في
مخيلتي كابوس أشبه بالواقع اكثر من كونه كابوساً .

والذي يتوسط القطيع و الجميع قد شكلوا حولي دائرة ، و أصدروا ضبأحا بصوت قوي وتكلم معي والدي بلغة الثعالب ، قائلاً لي : " انت مطرود من جماعتنا لا تعد الينا ثانية ، لا نريد من هم مثلك اذهب ولا تعد ، نريد ثعلبا مثلنا و ليس مسخاً على هيئة ثعلب " .

استيقظت فجأة خائفا و مصدوما مما رأيت ، لم استطع أن احذفه من دماغي مهما حاولت ، ولكن حانت لحظة الحقيقة .

الفصل الخامس : محاولة نجاة

في عز الليل اتخذت القرار الصحيح في رأيي ، كان ذلك الكابوس تحذيرا على ما يبدو ، علي ان اهرب من هنا و ابتعد عن هنا كي لا أجلب العار لعائلي ، تجنبنا لأي سوء تجاهي ، خرجت ببطيء دون إصدار اي صوت حذرا من أي صوت ، كي لا يكشف أمري .

مررت على طول نفق الجحر كي اصل للخارج ، ليست إلا ثواني وجدت نفس امام منظر جميل جدا ، البدر مكتمل ، و نسيم عليل يداعب وجهي ، لوحة فنية أمام عينايا .

اكملت طريقة النجاة من هذا الكابوس المرعب الذي اعيشه ، أن اهرب من واقعي و مخاوفي من ان يكشف امري ، ثعلب بلغة بشرية يساوي النبذ و الطرد و العيش المرير ، في مجتمع لا يقبل التميز و الإختلاف ، كل مختلف متخلف ، المميز متحيز ، في نظرهم .

تمشيت ببطيء لكن في داخلي احاول ان اكبت السرعة التي يريد ان يركض بها جسدي ، فلو ركضت سيكشف امري ، امشي و مع اي صوت انظر حولي في خوف ، لعل احدهم ما كشف امري و فضح خطة هروبي ، فلو قبض علي سأخسر كل شيء .

انا الآن في قلب الغابة ، سكون يحيط بأرجاء المكان ، ما عدا صوت البوم في كل مكان ، تضيء على الجو طابعا مرعبا ، مرعبا اكثر من مخاوفي .

ابتعدت كثيرا عن جحرنا بعيدا بما يكفي ، بعيدا عن مخاوفي و
مصدر رعي ، استلقيت على الأرض في قلب دغل صغير كي
أكمل نومي استعدادا لليوم التالي الذي اكمل فيه رحلتي نحو
المجهول ، لا يزال الليل قائما في الوقت الذي نمت فيه ، ما
سيصعب علي رحلتي ان استأنفتها في هذا الوقت ، استسلمت للنوم
كأني طفل صغير في بطن أمه .

اقترب الفجر من البروغ و استيقظت لتوي من النوم نشيطا كغير
عادتي لأكمل مسيري بدون وجهة محددة ، ليست إلا امتار ، و
صرخت بأعلى صوتي من الألم ، لقد سقطت ، في فخ صياد ، كان
هذا آخر ما توقت و اسوء ما قد يحدث لأي حيوان اخر .

ثواني إذ بي اسمع صوت خطوات خافتة تكسر عصيات الخشب
المتناثرة على الأرض ، كالعادة مرت اسوء السيناريوهات بين
عيناوي ، توفت ان نهايتي ستكون جلد سجاد منزل احدهم ، ولكن ...

برز امامي ووراءه خيوط الشمس الاولى تشرق ببطء و كأن الزمن
توقف عندي ، تكلم ذلك الشخص قائلا : " لقد توقعت أنك ارنب ، لم
اتوقع ابدا ثعلبا صغيرا في احد فخاخي هذه " .

ازال الفخ من على قدمي كي اذهب في حال سبلي لكني لم استطع
ذلك ، فقدمي قد جرحت من قوة إطباق الفخ على قدمي ، بدأت أطلق
أنينا كي يعرف اني لا استطيع الذهاب ، فهذا الرجل كان احن من
الذين هربت منهم ، مهما كان ما سيحدث لي فانا راضي عنه ، فهذا
الرجل يبدو طيبا من افعاله .

قال الرجل ثانية : " انا اسف يا صغيري على الاذى الذي سببه لك الفخ الذي نصبته ، سأخذك معي الى المنزل لأداوي جرحك " .

حملني و وضعني في سلة كانت لديه مع بعض الفطر و بعض أعشاب عطرية من الغابة ،ليتكم تستطيعون رؤية المنظر الرائع امامنا ، صوت العصافير تزيد من روعة المشهد .

فقدت الوعي من شدة الألم الناتج من جرحي ، لا أعلم كم المدة التي بقيت فيها فاقدًا للوعي ، استعدت وعيي لأجد نفسي في كوخ خشبي متوسط في الحجم ، لكنه رائع بصراحة لا يحتوي على أثاث كثير ، ولكنه رائع بمعنى الكلمة لكن ما اثار انتباهي و هي رفوف مليئة بالكتب ، منها المغلف بالجلد و منها بالورق .

فجأة رأيت الرجل في احد جنبات الكوخ يطبخ عشاءه فقد حل الليل و لم انتبه لا له ولا للرجل فقد كان تركيزي منصبا على المكتبة ، قال لي : " أخيرا استيقظت ، لقد نمت يوما كاملا ، و قد ضمدت جرحك و أنت نائم " .

لم انتبه له اساسا لقد ضمده و اشعر بألم خفيف مقارنة بالسابق .

الفصل السادس : حياة جديدة

اعلنت الآن حياة جديدة مع شخص جديد ، بعيدا عن سابقها السيئة .
اردت سؤال الرجل ولكنني متردد جدا من أن يكشف سري و أن
يمسني سوء ، لكن من يتهم فقد اعتدت هذا ، قال لي اتكلم معك و
كأنك تفهم ما اقول ، و رأني احد اخر لظن إنني مختل عقليا ، فمن
هذا المجنون الذي يتكلم مع الحيوانات .

كانت هذه فرصتي فيجب علي ان اغتنمها ما دام هذا الموضوع
الذي انتظره من البداية ، فقلت له : " ليس كل مختلف مجنونا ، و
ليس كل لديه فكر مختلف فهو غبي أو متصنعا الوعي " .

صدم الرجل من ما حصل ، و ظهرت على وجهه ملامح الحيرة و
الصدمة مختلطة بعدم التصديق لما حدث امامه الآن ، انا افهم
شعوره جيدا ، فكان هذا شعوري حين اكتشف انني ثعلب متكلم .

قال الرجل مع نفسه و هو مندهش : " ثعلب يتحدث ، لا لا يبدو
أنني بدأت أهلوس او إنني فقدت صوابي " .

فأجبتة انا : " لا لست أي من ذلك ، بل هذه حقيقة فلا تستغرب " .

العجوز : " هل تتحدث حقا ، وكيف فعلت هذا " .

أنا : " نعم انا ثعلب متكلم و أنا الوحيد القادر على ذلك ، فقد هربت من موطني بسبب هذا من البداية ، لما وجدنتني في فخك ذاك ، و أحضرتني لكوخك من البداية " .

صدمته اكثر بكلامي هذا و حكيته له قصتي من البداية لحين ايجاده لي في فحه ، استغرب لكل ذلك ، لكنه صدق كل ما قلته ، و احضر لي قطعة لحم مطبوخ ، و قال لي : " تناول هذه لتسترجع بعضا من قوتك وصحتك " .

بصراحة كانت الذ ما اكلته يوما في موطني ، ملئت بطني جيدا ، فقال أما هو فقد اكل و نظف كل شيء ، اذ به يختار احد الكتب و بدأ يقرأه تحت اضواء الشموع الخافتة التي تنير الكوخ بجانب القناديل الزيتية الصغيرة .

كسرت جو الصمت هذا ، بسؤال مباشر له : " من أنت يا سيدي ، و لما تعيش وحدك في هذا الكوخ في الغابة " .

صمت قليل فأجابني كالتالي : " قبل أن اجيبك سأناديك من الآن فصاعدا ب " سيكو " .

قلت له ردا على هذا : " انا موافق فقد احببت هذه التسمية " .

- العجوز : " أنا يا سيكو مثلك مختلف عن من هم مثلي من البشر ، انا من لم يقدر أحد ابداعه و تميزه فقد تألمت من مجتمعي كثيرا فقررت ان اعتزل عن ما يأذيني ، و يجعلني اشعر بالسوء تجاه نفسي ، فقررت ان ابني هذا الكوخ الصغير و اعتزل عن كل شيء و أحيا حياة مناسبة لي " .

انا : " هذا أفضل ما فعلت بصراحة ، فأنا ايضا مثلك ، و هذا هو سبب هروبي من بني جنسي من الثعالب " .

انا: " ما رأيك ان تعلمني القراءة و الكتابة فقد احببتها بسببك " .

لم تكن اجابته خارج نطاق ظني به فقد وافق دون أدنى رفض او تردد ، فقد قال لي عليك ان تنتظر شفاء جرحك أولا و حينها سنبدأ من البداية .

ليس الا اسبوع و قد شفي جرحي و اصبحت قادرا على تحريكها بكل اريحية ، احضر لي العجوز ملابسا بشرية تناسب مقاسي ، اه نسيت ان اخبركم بأمر مهم ، لقد اصبحت قادرا على المشي على قائمتي الخفيتين كالبشر ، بدأت اصبح بشريا بعض الشيء .

لقد دخل لتوه من الخارج و قد بدأت حان وقت حصتنا لتدريبي الكتابة والقراءة ، لقد ساعدني ذكائي و قدرتي على الكلام في التعلم بسرعة ، عكس ما توقعت بكثير .

مر الشهر الاول الثاني و الثالث ، إلى أن مرت سنة و قد اصبحت قادرا بشكل كامل على القراءة و الكتابة و الفهم ، و المشي بشكل جيد جدا عن اليوم الأول .

دخل الصيف و حالة العجوز تسوء أكثر و أكثر ، و هو الآن في منزل ابنه ، في المدينة و انا اقطن في كوخه ، لحين عودته .

مر شهر على رحيله اذ بي اجد ابنه قد آتا الى الكوخ و الحزن
الشديد بادي على وجه ، و الدمع ينهمر من عينيه اللواتي اصبح
لونهم احمر من كثرة بكائه ، اقترب مني و

قال : " ابي قد فارق الحياة يا سيكو و لن يعود لكوخه من الآن
فصاعدا لقد رحل إلى مثواه الأخير و تركنا خلفه " .

صدمت لدرجة أنني لم استطع تصديق كلامه و لكن لا ، فحالته تعبر
عن صدقه ، اغمي علي من هول الصدمة ، فقد كان بمثابة ابي
وعائلتي و صديقي ، فتح لي بابه و اسكنني و أطعمني و علمني
طرف العيش وفتح و عيي و علمني القراءة و الكتابة و زاد من
تميزي و رحل فجأة و تركني وحيدا مجددا و لكن ذكراه لن تمحى و
لن تطوى مع الزمن .

ها أنا الآن اكتب لكم قصة العجوز و قصة الثعلب سيكو انا طبعا ،
الذي تحول من ثعلب منبوذ الى كاتب متميز عن غيره ...

اعلنت الآن حياة جديدة مع شخص جديد ،
بعيدا عن سابقها السيئة .

اردت سؤال الرجل ولكنني متردد جدا من
أن يكشف سري و أن يمسنني سوء ، لكن من
يتهم فقد اعتدت هذا ، قال لي اتكلم معك و
كأنك تفهم ما اقول ، و رأني احد اخر لظن
إني مختل عقليا ، فمن هذا المجنون الذي
يتكلم مع الحيوانات .

نوفل سنوسي